السَّماعُ عِندَ ابنِ قَيِّمِ الجَوزِيَّةِ فِي كِتَابِهِ "إِرشَادِ السَّالِكِ إِلَى حَلِّ أَلفِيَّةِ ابنِ مَالِكٍ"

إعداد

علي عبد العزيز أحمد كمال الدين

باحث دكتوراه بكلية الآداب جامعة أسوان

الملخص باللغة العربية:

لقد حظي الإمام ابن قيم الجوزية بمكانة رفيعة بين علماء عصره، فكان غزير العلم واسع الاطلاع، فشهدت له مؤلفاته بذلك، وفي هذا البحث سنلقي الضوء على حياته من حيث التعرف على اسمه، ونسبه، ولقبه، وكنيته، ومولده، ونشأته، وبعض شيوخه وتلاميذه، وثناء العلماء عليه، ومصنفاته، ثم وفاته.

نتحدث أيضًا في هذا البحث عن تعريف الأصول النحوية، ثم نتعرض منها للسماع عند ابن قيم الجوزية من خلال التطبيق على نماذج من كتابه " إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك ".

الكلمات المفتاحية: ابن قيم الجوزية، إرشاد السالك.

Abstract:

Ibn Qayyim Al-Jawziyya is well known among scholars and scientists. He had a great depth of knowledge about a variety of topics, and his writings are a living proof of that. In this research, we dig deep into his life detailing his lineage, birth, title, nickname, upbringing, teachers, students, scholarship, status, and finally his death.

This research also details Arabic grammar foundations, and how Ibn Qayyim Al-Jawziyya interpreted them in his book "Irshad Assalik Ela Hal Alfia Ibn-Malik"

Keywords: Ibn Qayyim Al-Jawziyya, Irshad Assalik

التعريف بابن قَيِّم الجَوزِيَة:

أولًا: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه، ونسبته:

هو الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، أبو عبد الله، شمس الدين، الزرعي الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن قَيِّم الجَوزِيَة[١].

ثانيًا: مولده ونشأته:

ولد سنة إحدى وتسعين وست مائة. وسمع الحديث واشتغل بالعلم، وبرع في العلوم المتعددة، لا سيما علم التفسير والحديث والأَصْلَيْنِ، ولما عاد الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ فأخذ عنه علمًا جمًّا، مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريدًا في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلًا ونهارًا، وكثرة الابتهال[٢].

ثالثًا: شيوخه وتلاميذه:

أخذ الإمام ابن القيم العلم عن كبار علماء عصره، فقد تتلمذ على علماء أجلاء في الفقه والأصول والعربية، وغيرها من العلوم، منهم ابن أبي الفتح البعلي، الذي أخذ عنه العربية، وقرأ عليه الألفية وغيرها، ومنهم مجد الدين التونسي ، وغيرهما كثير.

---

(١) ينظر: أعيان العصر، وأعوان النصر، للصفدي (٣٦٦/٤)، ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي (١٧١/٥).

(٢) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢٧٠/١٤)، وأعيان العصر، وأعوان النصر، للصفدي (٣٦٨/٤)، و الوافي بالوفيات، للصفدي (١٩٥/٢)، ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن الحنبلي، (١٧١/٥).

ولعل أبرز شيوخه وأشهرهم على الإطلاق الذي تشرب بأفكاره، وتبناها ونشرها بعد وفاته هو الشيخ تقي الدين بن تيمية، فقد أخذ عنه الفقه وغيره[١].

ومن أبرز وأشهر تلاميذه:

ابن رجب الحنبلي، والصفدي المؤرخ، وابن عبد الهادي، وابن كثير، وغيرهم[٢].

رابعًا: رحلاته:

رحل إلى مصر، وكانت له حظوة عند الأمراء بمصر، يعطونه الذهب والدراهم، كما رحل إلى الحجاز مرات كثيرة من أجل الحج، وجاور بمكة[٣].

ثناء العلماء عليه:

قال عنه تلميذه الصفدي في الأعيان: "وكان ذا ذهن سيال، وفكر إلى حل الغوامض ميال، قد أكب على الاشتغال، وطلب من العلوم كل ما هو نفيس غال، وناظر وجادل، وجالد الخصوم وعادل، قد تبحر في العربية وأتقنها، وحرر قواعدها ومكنها، واستطال بالأصول، وأرهف منها الأسنة والنصول، وقام بالحديث وروى منه، وعرف الرجال وكل من أخذ عنه.

---

(١) ينظر: أعيان العصر، وأعوان النصر، الصفدى، (٣٦٦/٤)، و البداية والنهاية، ابن كثير (٢٧٠/١٤)، و ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي (١٧١/٥).

(٢) ينظر: أعيان العصر، وأعوان النصر، الصفدي، (٣٦٦/٤)، و البداية والنهاية، ابن كثير، (٢٧٠/١٤)، و ذيل طبقات الحنابلة ، ابن رجب الحنبلي (١٧١/٥-١٧٤).

(٣) ينظر: أعيان العصر، وأعوان النصر، الصفدي، (٣٦٨/٤)، و ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي (١٧٣/٥).

وأما التفسير فكان يستحضر من بحاره الزخارة كل فائدة مهمة، ومن كواكبه السيارة كل نير يجلو حنادس الظلمة.

وأما الخلاف ومذاهب السلف فذاك عشه الذي منه درج، وغابه الذي ألفه ليثه الخادر ودخل وخرج"[١].

وقال عنه تلميذه ابن رجب الحنبلي: "وتفقه فِي المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عَنْهُ. وتفنن فِي علوم الإسلام. وَكَانَ عارفا بالتفسير لا يجارى فِيهِ، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى. والحَدِيث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق فِي ذَلِكَ، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وَلَهُ فِيهَا اليد الطولى، وتعلم الْكَلَام والنحو وغير ذَلِكَ، وكان عالما بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم، ودقائقهم. لَهُ فِي كُل فن من هذه الفنون اليد الطولى"[٢].

وقال أيضا: "وَكَانَ رحمه اللَّه ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشفف بالمحبة، والإنابة والاستغفار، والافتقار إِلَى اللَّه، والانكسار لَهُ، والإطراح بَيْنَ يديه عَلَى عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله فِي ذَلِكَ، ولا رأيت أوسع منه علما، ولا أعرف بمعاني الْقُرْآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هُوَ المعصوم، ولكن لَمْ أرَ فِي معناه مثله"[٣].

وقال عنه تلميذه ابن كثير في البداية والنهاية: "وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد لا يحسد أحدا ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد، وكنت من أصحب الناس له وأحب إليه، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطليها جدا ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من

---

(١) ينظر: أعيان العصر، وأعوان النصر، الصفدي، (٣٦٧/٤).

(٢) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، (١٧١/٥- ١٧٢).

(٣) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، (١٧٣/٥).

أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرًا، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عُشْرِه من كتب السلف والخلف، وبالجملة كان قليل النصير في مجموعه وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة"[١].

قال ابن حجر: وقال عنه ابن كثير: كان ملازما للاشتغال ليلا ونهارا، كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق كثير التودد لا يحسد ولا يحقد[٢].

وقال: لا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه، وكان يطيل الصلاة جدًّا، ويمد ركوعها وسجودها[٣].

وقال عنه السيوطي: وصنف وناظر، واجتهد، وصار من الأئمة الكبار في التفسير، والحديث، والفروع، والأصلين، والعربية[٤].

خامسًا: مصنفاته:

لقد صنف الإمام ابن القيم العديد من المؤلفات النافعة، والمصنفات الماتعة، التي تدل على علو مكانته، وغزير علمه، ومن تصانيفه: "زاد المعاد في هدى خير العباد " مفتاح دار السعادة "، " تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته "، "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، "معاني الأدوات والحروف"، "بدائع الفوائد"، وهو كثير الفوائد، أكثره مسائل نحوية، "تفسير الفاتحة"، "تفسير أسماء القرآن"، "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح"، "جلاء الأفهام في حكمة الصلاة والسلام على خير الأنام"، وله غير ذلك الكثير[٥].

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٢٧٠/١٤).

(٢) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، (٥/ ١٣٨).

(٣) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، (٥/ ١٣٨).

(٤) ينظر: بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، (٦٣/١).

(٥) ينظر: أعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي، (٣٦٩/٤)، و ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، (١٧٤/٥-١٧٦)، و الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، (٥/ ١٣٩)، و بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، (٦٣/١).

سادسًا: وفاته:

بعد حياة حافلة بالعلم والإفادة والتصنيف توفى رحمه اللَّه في ثالث عشر رجب سنة إحدى وخمسين وسبع مائة، فرحمه الله رحمة واسعة[١].

مقدمة عن الأصول النحوية

الأصل في اللغة: " أسفل كل شيء، وأَصُلَ الشيءُ: صار ذا أصل، والأصل: أساس الشيء، وأصل الشيء أسفله وأساس الحائط أصله، والجمع: أصول[٢]".

النحو في اللغة: " القصد والطريق، ونحو: النون والحاء والواو كلمة تدل على قصد، ونحوت نحوه؛ ولذلك سمي نحو الكلام؛ لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به[٣]".

وقد ذكر بعض النحاة تعريفات للنحو منها " انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة..... [٤]"

ولو نظرنا إلى علم أصول النحو كونه علمًا، فقد ذكر له الإمام السيوطي تعريفًا حيث قال:" علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية، من حيث هي أدلته،

---

(١) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، (١٧٦/٥)، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني (٥/ ١٤٠).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (أص ل)، (١٦/١١)، ومعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، مادة (أص ل)، (١٠٩/١)، و المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، مادة (أص ل)، (١٦/١).

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ن ح و)، (٣٠٩/١٥)، ومعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، مادة (ن ح و)، (٤٠٣/٥).

(٤) ينظر: الخصائص، ابن جني، (٣٥/١).

وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدل[١]"، وقد اهتم علماء اللغة العربية بالنحو اهتمامًا بالغًا، ولم يغفلوا في الوقت نفسه أصول النحو، أو أصول الاحتجاج، ولكنهم اكتفوا بها في البداية في قرارة نفوسهم، فقد ذكرت كلمة أصول النحو في كتب التراجم، فجاء في وصف الكتاب لسيبويه " جامع لأصول النحو وفروعه [٢]"، والمقصود بالاحتجاج هنا" إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة، أو تركيب بدليل نقلي صحَّ سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة[٣]".

ولقد أفسح ابن جني المجال لهذا العلم، حيث تعرض لكثير من مباحثه، فتحدث عن السماع، والقياس، والإجماع وغيرها في كتابه الخصائص. ومن أمثلة ذلك قوله: " إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص... [٤]"، وقوله:" و اعلم أن الشيء إذا اطرد في الاستعمال، وشذ عن القياس فلا بد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه لكنه لا يتخذ أصلًا يقاس عليه غيره..... [٥]".

ولقد استوى علم أصول النحو على عوده على يد الإمام السيوطي، حيث أفرد له مؤلفًا جمع فيه شتات هذا العلم من كتب السابقين له، وقد ذكر في مقدمة كتابه الاقتراح: " هذا كتاب غريب الوضع، عجيب الصنع، لطيف المعنى، طريف المبنى، لم تسمح قريحة بمثاله، ولم ينسج ناسج على منواله، في علم لم أسبق إلى ترتيبه، ولم أتقدم إلى تهذيبه، وهو أصول النحو، الذي هو بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه[٦]".

---

(١) ينظر: الاقتراح في أصول النحو وجدله، جلال الدين السيوطي، صـــ٢٥.

(٢) ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، صـــ ١٠٨.

(٣) ينظر: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، صـــ ٦.

(٤) ينظر: الخصائص، ابن جني، (١/٩٠).

(٥) ينظر: الخصائص، ابن جني، (١/١٠٠).

(٦) ينظر: الاقتراح في أصول النحو وجدله، جلال الدين السيوطي، صـــ١٤،١٥.

وقد وقع خلاف بين النحاة في أصول النحو، فقد ذكر ابن الأنباري في أصوله: " أدلة النحو ثلاثة: نقل، وقياس، واستصحاب حال[١]" وقد وفَّق الإمام السيوطي بين قول ابن الأنباري، وابن جني بقوله: " قال ابن جني في الخصائص: " أدلة النحو ثلاثة: السماع، والإجماع، والقياس.... وقد تحصل مما ذكراه أربعة[٢]". أي تحصل من ذكر القولين السابقين أن أدلة النحو أربعة، وهي: السماع، والقياس، والإجماع، واستصحاب الحال.

ولقد زاد الإمام السيوطي أدلة أخرى لكن دونها في المرتبة وهي" الاستقراء والاستحسان، وعدم النظير، وعدم الدليل[٣]".

وستقتصر الدراسة هنا في البحث علي الأصل الأول من أصول النحو، وهو السماع من خلا التطبيق على نماذج من كتاب " إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك" لابن قَيِّم الجَوزِيَة.

قبل عرض هذه النماذج نلقي الضوء على تعريف السماع في اللغة، والاصطلاح.

السماع في اللغة:

سمع: السَّمْعُ: حِسُّ الأُذن، وهي قوة فيها، بها تدرك الأصوات، وقد سَمِعَه سَمْعًا، وسِمْعًا وسَماعًا وسَماعةً وسَماعِيةً[٤].

---

(١) ينظر: الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة في أصول النحو، أبو البركات الأنباري، صـ ٨١.

(٢) ينظر: الاقتراح في أصول النحو وجدله، جلال الدين السيوطي، صـ ٢٦.

(٣) ينظر: الاقتراح في أصول النحو وجدله، جلال الدين السيوطي ، صـ ٢٦.

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (سمع)، (٨/ ١٦٢)، و تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي : دار الهداية، مادة (سمع)، (٢١ / ٢٢٣).

السماع في الاصطلاح:

يُعَدُّ السماع الأصل الأول من أصول النحو؛ لأنه شمل كلام الله – عز وجل –، وكلام النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكلام العرب من شعر ونثر.

وقد عرفه ابن الأنباري بقوله: " النقل هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة[١]"

وقد ذكر الإمام السيوطي تعريفًا للسماع بقوله: " وأعني به ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وكلام نبيه – صلى الله عليه وسلم – ، وكلام العرب، قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظمًا ونثرًا، عن مسلم، أو كافر، فهذه ثلاثة أنواع، لابد في كل منها من الثبوت[٢]"و السماع عند السيوطي هو النقل عند ابن الأنباري.

تعددت مصادر السماع عند العلماء فشملت الاستشهاد بالقرآن الكريم، والقراءات القرآنية، والحديث النبوي، وكلام العرب من شعر، ونثر.

أولًا: الاستشهاد بالقرآن الكريم:

القرآن في اللغة: التنزيل العزيز، أي المقروء المكتوب في المصاحف، و يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه، صلى الله عليه وسلم، كتابًا، وقرآنًا، وفرقانًا، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنًا؛ لأنه يجمع السور، فيضمها، وقوله تعالى:﴿إن علينا جمعه وقرآنه [٣]﴾[٤].

---

(١) ينظر: لمع الأدلة في أصول النحو، ابن الأنباري، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الفكر، صـــ٨١

(٢) ينظر: الاقتراح في أصول النحو وجدله، جلال الدين السيوطي، صـــ ٦٧.

(٣) سورة القيامة الآية: ١٧.

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، باب الهمزة فصل القاف مادة(قرأ)، (١ / ١٢٨)، و تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، باب الهمزة فصل القاف، مادة (قرأ)، (١ / ٣٦٣).

القرآن الكريم أوثق نص لغوي في اللغة العربية؛ لذلك يعد العماد الأول في الاستدلال النحوي، يقول الزجاج: " والقرآن محكم لا لحن فيه، ولا تتكلم العرب بأجود منه في الإعراب"(١)، وجاء في الاقتراح: " أما القرآن فكل ما ورد أنه قريء به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواترًا، أو آحادًا، أم شاذًا"(٢)

وابن قيم الجوزية شأنه في الاستشهاد بالقرآن الكريم شأن سائر النحاة، ومن أمثلة ذلك:

أ – استشهد ابن قَيِّم الجَوزِيَة في باب: المعرب والمبني على بناء الفعل المضارع بالسكون إذا اتصلت به نون الإناث بقوله تعالى: ﴿ والمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَصْنَ(٣) ﴾(٤).

ب – وقال في باب: المعرف بأداة التعريف أن "ال" المفيدة للتعريف ثلاثة أقسام عهدية، وهي ما علم مصحوبها بسبقه في الذكر نحو قوله تعالى:﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ(٥) ﴾(٦)

ج – ذكر ابن قَيِّم الجَوزِيَة في باب: عطف النسق على اختصاص جواز حذف حرف العطف " الفاء " من بين حروف العطف مع التابع الذي عطفه، إذا كان المراد ظاهرًا مع حذفه، فمنه مع "الفاء": ﴿ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ (٧)﴾(٨)

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، (٢ / ١٣١).
(٢) ينظر: الاقتراح في أصول النحو وجدله، جلال الدين السيوطي، صـــ ٦٨.
(٣) سورة البقرة الآية: ١٨٤.
(٤) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قَيِّم الجَوزِيَة، (١ / ٩١).
(٥) سورة المزمل الآية: ١٦.
(٦) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قَيِّم الجَوزِيَة، (١ / ١٥٧).
(٧) سورة الشعراء الآية: ٦٣.
(٨) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قَيِّم الجَوزِيَة، (٢ / ٦٤١).

د – استشهد ابن قَيِّم الجَوزِيَة في باب: إعراب الفعل على وجوب إضمار " أنْ" بعد حتى الجارة إذا كانت لانتهاء الغاية، كقوله تعالى: ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ (١)﴾(٢)

هـ – ذكر ابن قَيِّم الجَوزِيَة في باب: فصل في زيادة همزة الوصل أن: دخول همزة الاستفهام على همزة الوصل المفتوحة يجوز فيها وجهان: الإبدال مع المد، وهو الأرجح، التسهيل، كقوله تعالى: ﴿ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ(٣)﴾(٤)

ثانيًا: القراءات القرآنية:

علم القراءات: " هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله، وهو من النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم." (٥)

فالقراءات القرآنية يثبت بها النحاة القواعد النحوية، ويقيسون عليها، وقد استشهد ابن قيم الجوزية في كتابه " إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مال" بالقراءات القرآنية في أكثر من موضع نذكر منها على سبيل المثال:

أ- ذكر ابن قيم الجوزية في باب أفعال المقاربة: " إذا أسندت "عسى" إلى "تاء الضمير" بجميع فروعها، أو إلى ما يجري مجراها، مما يسكن له آخر الفعل المسند إليه كـــ"نا" و"نون الإناث" فالأشهر فيها بقاء فتح "السين" على حاله، ويجوز كسرها، وبه قرأ نافع ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ (٦)﴾(٧) "

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢١٤.

(٢) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قَيِّم الجَوزِيَة، (٢ / ٧٧٧).

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٤٣.

(٤) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قَيِّم الجَوزِيَة، (٢ / ١٠٠٦).

(٥) ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح القاضي، (٧/١).

(٦) سورة محمد الآية: ٢٢.

(٧) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قَيِّم الجَوزِيَة، (١ / ٢٢٩).

ب-جاء في علامات الاسم: " و "بالنداء" وهو قصد دعائه بأحد الحروف الصالحة لذلك، ولم يقل بحرف النداء؛ لأن حرف النداء قد يباشر الفعل، كقراءة الكسائي: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا (١)﴾(٢)"، حيث قرأ الكسائي بالتخفيف: " ألا يا اسجدوا" على أنَّ " أَلَا " أداة استفتاح وتنبيه، " والحجة لمن خفف: أنه جعله تنبيهًا واستفتاحًا للكلام، ثم نادى بعده فاجتزأ بحرف النداء من المنادى لإقباله عليه وحضوره، فأمرهم حينئذ بالسجود (٣)"، " ومن حذف المنادَى المأمور في قراءة الكسائي: "ألاَ يا اسْجُدوا" أراد: ألا يا هؤلاء اسجدوا "(٤).

ج – ورد في " ظنَّ وأخواتها" قوله: " وما جاء من الأفعال بمعنى " صيَّر " فإنه يعمل عمل الأفعال القلبية – أيضًا– في نصب المبتدأ والخبر كـــ"جَعَلَ" و"رد" و"ترك" و"تَخِذَ" و"اتخذ" و"وهب" (٥)" واستدل بقراءة المكي(٦) ، والبصريين(٧) في قوله: " لَاتَّخَذْتَ" بتخفيف التاء المفتوحة، وكسر الخاء من غير ألف وصل هكذا " لَتَخِذْتَ " من قوله تعالى: ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجرًا(٨)﴾(٩)

(١) سورة النمل الآية: ٢٥.
(٢) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قَيِّم الجَوزِيَة، (١ / ٨٢).
(٣) ينظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، صـــ ٢٧١.
(٤) ينظر: شَوَاهِد التَّوضيح وَالتَّصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح، ابن مالك، صـــ ٦٠.
(٥) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قَيِّم الجَوزِيَة، (١ / ٢٧٣).
(٦) ابن كثير.
(٧) أبو عمرو البصري، و يعقوب الحضرمي.
(٨) سورة النمل الآية: ٢٥.
(٩) ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح القاضي، (١/١٩٥).

ثالثًا الحديث الشريف:

سار ابن قيم الجوزية على نهج ابن مالك وغيره من النحاة في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، ومن أمثلة ذلك:

أ – ذكر في حذف "كان" واسمها بعد "لو" حيث استشهد بقول الرسول– صلى الله عليه وسلم–: " التمس ولو خاتمًا من حديد[١]"[٢]، والتقدير: ولو كان الملتمس.

ب – استشهد ابن قيم الجوزية على مفارقة الرفع لفظًا للفاعل عند إضافته لاسم المصدر بقوله عليه الصلاة والسلام: " من قبلة الرجلِ امرأته الوضوء [٣]"[٤]، حيث إنّ الفاعل " الرجل" أضيف إلى اسم المصدر" قبلة" قد فارقه الرفع لفظًا.

ج – جاء في معاني حرف الجر "ربَّ" أنها تفيد " التكثير"، واستشهد بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – " رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ يوم القيامة [٥]"[٦]، فـــ " ربَّ" هنا أفادت التكثير.

رابعًا كلام العرب:

ويقصد بكلام العرب الشعر والنثر، وقد ذكر الإمام السيوطي في الاقتراح عن الاحتجاج بكلام العرب فقال: " وأما كلام العرب فيحتج منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم [٧]"، حتى قال: "كانت قريش أجود العرب انتقادًا للأفصح من

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: السلطان ولي، (١٧/٧)

(٢) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قيم الجوزية، (٢٠٤/١) .

(٣) ينظر: الموطأ، الإمام مالك بن أنس، باب وقوت الصلاة(٦٠/٢).

(٤) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قيم الجوزية، (٢٩٦/١) .

(٥) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: التكبير والتسبيح عند التعجب، (٤٨/٨).

(٦) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قيم الجوزية، (٤٧٠/١) .

(٧) ينظر: الاقتراح في أصول النحو وجدله، جلال الدين السيوطي، صـــ ٩٠.

الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعًا وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين كلام العرب(١)".

نذكر بعض النماذج التي استشهد بها ابن قيم الجوزية من الشعر، والنثر.

أولا: الشعر

أ- ذكر ابن قيم الجوزية اللغات الواردة في الأسماء الستة، ومنها لغة النقص " أي: حذف حرف العلة منه، وهو لامه، وإعرابه بالحركات، ويندر هذا الاستعمال في "أبٍ" وتالييه، وهما "أخٌ" و "حَمٌ" وهو مسموع في الأبِ، نحو:

بِأَبِهِ اقْتَدَى عِدِيٌ فِي الْكَرَمِ *** وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ(٢)

حيث جاءت كلمة " بأبه" الأولى في البيت مجرورة بحرف الجر، وعلامة جرها الكسرة الظاهرة على لغة النقص، وجاءت كلمة " أبه" الثانية منصوبة، وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة – أيضًا – على لغة النقص.

ب–ومن مسوغات الابتداء بالنكرة أن يكون المبتدأ نكرة معطوفًا على ما فيه مسوغ نحو:

عندي اصطبارٌ وشكوى عندَ فاتنتي *** فهل بأعجب من هذا امرؤ سمعا؟

فكلمة " شكوى" نكرة وقعت مبتدأ لكونها معطوفة على ما فيه مسوغ، وهو الظرف المختص(٣).

---

(١) ينظر: الاقتراح في أصول النحو وجدله، جلال الدين السيوطي، صـــ٩١.
(٢) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قيم الجوزية، (١/٩٥، ٩٤).
(٣) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قيم الجوزية، (١/١٧٤).

ج- ومما تختص به " كان" من بين أخواتها جواز حذفها مع اسمها، وإبقاء الخبر على حاله منصوبًا، واشتهر ذلك بعد " إن " الشرطية، نحو قوله:

لا تقربنَّ الدهرَ آل مطرِّفٍ *** إنْ ظالمًا – أبدًا – وإن مظلومًا

ففي هذا البيت حذفت كان واسمها بعد " إنْ" وبقاء خبرها، وأصل الكلام " إن كنت ظالمًا وإن كنت مظلومًا[١].

ثانيًا: النثر

أ- ذكر ابن قيم الجوزية الناصب للمفعول معه: " ما سبق في الجملة من الفعل أو ما تضمن معناه، وتعدى إليه بواسطة الواو[٢]" واستدَّل على ذلك بقول العرب" استوى الماء والخشبةَ[٣]"

ب-استدل ابن قيم الجوزية على حذف أداة النداء مع اسم الجنس، بقولهم:

" أَصْبِحْ لَيْلُ " أي: أصبح يا ليل[٤].

ج- ذكر ابن قيم الجوزية أنَّ المخصوص بالمدح، أو الذم إذا وقع بعد "ذا" سواء كان مفردًا، أو مثنى، أو جمعًا، أو مذكرًا، أو مؤنثًا فإنَّ " ذا" لا تتغير لتغير المخصوص بل يلزم الإفراد والتذكير؛ لأنها أشبهت بالمثل، والأمثال لا تغير، فاستدل بالمثل القائل" الصيف ضيعت اللبن"[٥].

---

(١) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قيم الجوزية، (١/ ٢٠٣).
(٢) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قيم الجوزية، (١/ ٣٧٧).
(٣) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قيم الجوزية، (١/ ٣٧٧).
(٤) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قيم الجوزية، (٢/ ٦٥٨).
(٥) ينظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قيم الجوزية، (١/ ٥٨٠)، و شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل (١٧١/٣).

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث نكون قد ألقينا الضوء باختصار على شخصية ابن قيم الجوزية من خلال التعرف على اسمه، ونسبه، وكنيته، ومولده، ونشأته، ورحلاته العلمية، وشيوخه، وتلاميذه، ومصنفاته، وثناء العلماء عليه، ثم وفاته.

كما تعرفنا على الأصول النحوية عند العلماء، ثم تعرضنا للسماع بشئ من التوضيح من خلال التعرف على السماع لغة واصطلاحا، ومصادره: القرآن الكريم، القراءات القرآنية، الحديث النبوي الشريف، ثم كلام العرب وما يتضمنه من شعر ونثر، وعرضنا بعض النماذج من خلال شرح ابن قيم الجوزية لألفية ابن مالك.

قائمة المصادر والمراجع

١- الاقتراح في أصول النحو وجدله، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حققه وشرحه: د. محمود فجال، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح)، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م.

٢- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، المحقق: د. محمد بن عوض بن محمد السهلي، الناشر: أضواء السلف – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.

٣- الاقتراح في أصول النحو وجدله، جلال الدين السيوطي، دار القلم، دمشق، الطبعة : الأولى، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م.

٤- أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي،

المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

٥- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

٦- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة - القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

٧- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية – لبنان/ صيدا.

٨- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، **الناشر: دار الهداية.**

٩- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ.

١١- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.

١٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٣- ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، المحقق: د عبد الرحمن

بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر : دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م

١٥- شَوَاهِد التَّوضيح وَالتَّصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، المحقق: الدكتور طَه مُحسِن، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.

١٦- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي بيروت١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

١٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ ه.

١٨- لمع الأدلة في أصول النحو، ابن الأنباري، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الفكر.

١٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي،

الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٢٠- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٢١- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

٢٢- الموطأ، مالك بن أنس بن مالك، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

٢٣- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

٢٤- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.